

المؤمن مرآة أخيه



جاء في بحار الأنوار المجلد الثاني ص 184 باب 36: "إن حديثهم صعب مستصعب وإن كلامهم ذو وجوه كثيرة، وفضل التدبر في أخبارهم عليهم السلام وفيه 116 حديثاً".

"عن أبي عبد الله مولانا الصادق (ع) أنَّهُ قال: حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا، وإنَّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج، فكلام الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته الأطفال (ع) كالقرآن الكريم يُحمل على وجوه كثيرة ولا بطون عديدة ولكل بطن بطون أخرى فينفتح من كل باب ألف باب، لا يعلمها إلا الراسخون في العلم ولا يُلمّأها إلا ذو حظٍّ عظيم.

وإليك أيها المطالع الكريم هذه الرواية الشريفة وبعض الوجوه التي تباردت إلى ذهني بعد تفكّر ساعة. ويا حبذا لو يكون هذا مفتاحاً لك في تلقيك الآيات الكريمة والروايات الشريفة، ويكون هذا المتاع المختصر المجلد الخطوة الأولى لمسيرة ألف ميل، فتنفع الناس في رشحات أفكارك ونتائج تأملاتك وفوق كل ذي علم عليم، وما أوتيتُ من العلم إلا قليلاً، فأعذر من زلّة القدم وهفوة القلم والعذر عند كرام الناس مقبول.

قال رسول الله (ص): "المؤمن مرآة المؤمن".

- 1- المرأة لابد من صفائها وجلائها وطهارتها من الدرن والأوساخ أو "لأ"، حتى يشاهد الإنسان نفسه من خلالها، فعلى المؤمن أن ينظف نفسه ويهذب قلبه ويجلّي روحه حتى يكون مرآة أخيه المؤمن.
- 2- المرأة تُبدي المعاييب كما تحكي المحاسن، وكذلك المؤمن كما يُذكر أخاه المؤمن عيوبه فإنه يذكر محاسنه ومكارمه أيضاً، فإن المرأة كما تذكر وتظهر النقطة القذرة السوداء فإنها تبين وتعكس العين الجميلة.
- 3- المرأة لا تكبر ولا تُصغر العيب بل تذكره كما هو، وكذلك المؤمن إنما يذكر العيب لأخيه بنفس المقدار، فلا يزيد حتى يئس ويصعب عليه الأمر، ولا يُنقص حتى لا يهتم. ويستصغر الأمر فلا يبالي، بل بنفس الحجم والمقدار.
- 4- المرأة لا تأخذ العيب بقلبيها، فلا ينطبع في صدرها شيء، بل بمجرد ذهاب الشخص يذهب ما عكسته من العيب وكذلك المؤمن فليس بحقود ولا بمبغض ولا يحمل عيب أخيه في قلبه، بل بمجرد التذكر ثم الافتراق ينتهي كل شيء، وكأنّه لم يكن شيئاً مذكوراً، فالمؤمن في سلوكه يجسد لأخيه المؤمن الصفاء والإخلاص والمودة.
- 5- المرأة في كل حال وفي كل زمان ومكان تقول كلمتها، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن، فإنّه مرآته في كل حال وزمان ومكان ولا تأخذه في الـ لومة لائم، فهو يقول كلمته كلمة الحق.
- 6- المرأة لو تكسرت وتحطمت فإنها تقول كلمتها وكل قطعة منها تذكر وتعكس، وكذلك المؤمن فإنّه لو تحطّم في المجتمع وجعلوه قطعة قطعة فإنّه لا يزال يقول كلمته الإصلاحية ليزيل العيوب عن الفرد والمجتمع.
- 7- المرأة كما هي مرآة للفرد فهي مرآة للمجتمع، وكذلك المؤمن فهو مرآة لأخيه المؤمن ولمجتمعه المؤمن فيذكر العيوب والمحاسن لكلٍّ على حسب شأنه.
- 8- المرأة لو قالت العيب فكسرّها وتحطيمها لأنّها كشفت العيوب هو من الخطأ والجهل، وكذلك المؤمن لا يكسر عندما يذكر العيوب بل يشكر على ذلك فهو بفضل إيمانه يريد الإصلاح في الأمة.
- 9- المرأة دوماً معتمدة على كلامها فلا تتراجع إلا عند إزالة العيب وكذلك المؤمن عندما يشاهد العيب يذكر ذلك ولا يتراجع قيد أنملة فهو كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف وهو صبور ووقور عند الهزاهز ثابت القول والعقيدة كالمرآة.
- 10- المرأة معلّمة فتعلمنا كيف نرفع عيوب الآخرين.
- 11- المرأة تفرح لفرحك فتضحك لضحكك وتحزن لحزنك وتبكي لبكائك وكذلك المؤمن يفرح لفرح أخيه المؤمن ويحزن لحزنه.
- 12- المرأة آفة مألوفة فإنها تأخذ أطباع وألوان من يشاهدها وكذلك المؤمن يحسن المجالسة فهو هشّ بشّ ألف مألوف.
- 13- المرأة عند تذكر معاييبنا ومحاسننا نعتزّ بها ونحافظ عليها فكذلك المؤمن لابد أن نشكره ونعتزّ

بصداقته ونحتفظ بأخوته.

14- المرأة لابد من مرافقتها ومصاحبته لنشاهد فيها جمالنا ونزيل عيوبنا ونتزين أمامها وكذلك المؤمن فلابد من مصادقته ومعاشرته ليكون في حياتنا مرآة عيوبنا ومحاسننا لنزيل نقاط الضعف فينا ونقوي نقاط القوة، فنسعد بصديق صالح وأخ مؤمن ورفيق فالح.

15- المرأة متى ما شاهدتها فإنها تحدّثك عن نفسك ولا تذكر الآخرين بسوء فكذا المؤمن انما يذكر نفسه ولا يمسّ الآخرين بسوء أو غيبة.

16- المرأة الوسخة والقدرة عاقبتها المفارقة والمقاطعة فلابدّ إذن للمؤمن أن يكون جميلاً نظيفاً حتى يرتاح إليه أخوه المؤمن ويحبّ معاشرته. والمرأة السيئة مبعوضة عند الجميع ومآل أمرها الإعراض والهجران فكذاك المؤمن لوساء وأساء فإن المجتمع يبغضه ويقاطعه ولا يودّ معاشرته إلا فيما لو أصلح نفسه وتحلّى بالمكارم.

17- المرأة الحسنة والنظيفة عزيزة لدى الجميع ومكانها مرموق ومحترم وكذلك المؤمن الحسن الخلق يحبّه الجميع، ويُعزّز ويكرّم بين الناس.

18- لابد من المحافظة على المرأة كي لا تتوسخ ولا يكون عليها الغبار، فكذاك المؤمن لابد من مراعاة حقوق الأخوة والمحافظة عليها من غبار الأذى وانكسار الخاطر، ليبقى الترابط وعرى الأخوة والإيمان بين المؤمنين مستحكما وقويًا.

19- المرأة صبورة فلا تملّ من مجالسة الآخرين وتراعي شؤونهم وحقوق المصاحبة وتحمل أياً كان، وكذلك المؤمن لا يتضجر من الآخرين ولا يملّ منهم بل يحاول بكل جهوده أن يصلح أمرهم ويهديهم إلى ما هو الصحيح والصواب.

20- المرأة لا تعبدك ولا تجعل منك صنماً فكذاك المؤمن لا يجعل من الآخرين له صنماً يعبده دون الله سبحانه وتعالى فلا تعصّب عنده ولا تحزّب ولا قبيّة ولا ما شابه، ذلك مما ينافي روح الإيمان ويلزمه الشرك الجلي أو الخفي "فلا صنميّة بين المؤمنين".

21- المرأة لا تدعو إلى نفسها بل تدعو إلى الله سبحانه وتذكر الإنسان بخالقه ومصوّره ومن هذا المنطلق يستحب للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء عند ما ينظر في المرأة: "الحمد لله الذي خلّقي فأحسن خلّقي فخلّقتي فخلّقتي فأحسن صورتي وزان مني ما شان به غيري وأكرمني بالإسلام، اللهمّ حسن خلّقي كما أحسنت خلّقتي" فالمرأة تذكر الإنسان بربه وكذلك المؤمن يذكر أخاه المؤمن بربه.

22- المرأة متواضعة فإنها تصوّر الآخرين وتجالس الغني والفقير والشريف والوضيع فكذاك المؤمن يتواضع للجميع كما قال الرسول الأعظم "أنا مسكين وأحبّ المساكين" ومن تواضع رفعه الله.

23- المرأة مخلصة في بيان العيوب والمحاسن والمؤمن كذلك يتعامل مع أخيه المؤمن بكل إخلاص من دون غش ومكر وحيلة، لأن المؤمن مرآة المؤمن والمرأة مخلصة في عملها فكذاك المؤمن مخلص في عمله وإيمانه.

- 24- المرأة في عليها لا تمنّ على الآخرين ولا تجرح مشاعرهم، والمؤمن كذلك لا يمنّ على أخيه المؤمن بوجه من الوجوه ولا يجرح مشاعره وأحاسيسه ولا يبطل أعماله بالمن والأذى.
- 25- المرأة تحب الجميع وحديثها حديث الحب والمودة والصفاء والمؤمن لأخيه المؤمن كذلك.
- 26- المرأة أمانة لا تخون صاحبها فلا تفشي له سراً ولا تهرّج في معايبه، وكذلك المؤمن أمين فلا يغتاب أخاه المؤمن، ولا يُشهرّ به ولا يفصح أسرار له لأنّه لا يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. وإنّ للمؤمن ثلاث علامات: "إذا حدّث لم يكذب وإذا ائتمن لم يخن وإذا وعد لم يخلف"، وللمنافق ثلاث علامات وإن صدّق وصام كما جاء في الاخبار الشريفة: "إذا حدّث كذب وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف".
- 27- المرأة تعكس الخيرات وكذلك المؤمن فإنّه منبع لكل خير و أصل لكل إحسان فهو مأمول مأمون ومنه يرتجى الفضل والمحاسن.
- 28- المرأة لا تذكر العيوب المستورة فهي ستارة العيوب المخفية فلا تحدّث بالبواطن والخفايا وكذلك المؤمن ستار ما ستره الله على أخيه المؤمن.
- 29- المرأة صافية وتروي الصفاء والمؤمن كلاًّ صفاء ويتحدث عن الصفاء ويجسد لنا الصفاء في سلوكه وأقواله وأحواله.
- 30- المرأة كما تذكر عيوب ومحاسن الغني فكذلك تذكر عيوب ومحاسن الفقير والمؤمن كذلك فإنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الإصلاح وسلامة المجتمع فيذكر الغني والفقير والقريب والبعيد ولا يميّز بين الناس.
- 31- المرأة لا يُتوقع ولا يُنتظر أكثر من حجمها فلا تتوقع ولا تأمل من أخيك المؤمن أكثر ممّا عنده.
- 32- زينة المرأة إظهارها ولا بدّ فيها من الإطار كي لا تجرح يد قابضها، والمؤمن يؤطر بالأخلاق الحسنة والمبادء السامية ويتزين بالسنن والآداب ولا يجرح شعور الآخرين وإنّه مؤطر بإطار إلهي وعليه صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.
- 33- المرأة الكبيرة تصور تمام وجودك بوعائها الأكبر، وكذلك المؤمن الكبير في همته الغزير في علمه المتبوع في فضائله، المخلص في عمله، قلبه واسع و صدره بحر، والقلوب أوعية خيرها أوعاها.
- 34- المرأة السوداء تُرى الأشياء فيها بلون أسود وإن كانت بيضاء وكذلك المؤمن لو اسودّ قلبه بالذنوب والمعاصي فإنّه يرى الأشياء كلّها سوداء فيسيء الظن بأخيه المؤمن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) (الحجرات/ 12).
- 35- فقدانك للمرأة يوجب إيلامك وتأثرك وأنت تفرح لو وجدتتها وتسرّ وتشغف برؤيتها، فكن لأخيك المؤمن كذلك تتأثر وتحزن لفقدانه. وتفرح ببلقائه وتناول السرور برؤية محبّاه الباسم فإنّ المؤمن بـشره في وجهه وحزنه في قلبه.
- وأخيراً وليس آخراً، ربّما يكون المراد من المؤمن الأوّل في قوله (ص): "المؤمن مرآة المؤمن"، هو

الإنسان والمؤمن الثاني هو اﻻ سبحانه وتعالى فإن من أسمائه الحسنى كما في كتابه الكريم المؤمن فالإنسان المؤمن مرآة اﻻ المؤمن يتجلّى سبحانه وتتجلّى صفاته وأسمائه في الإنسان الكامل المؤمن. وهو النبي والوصي والأمثل فالأمثل من الصالحين. فإن قلبَ المؤمن حَرَمٌ اﻻ وعرش الرحمن. وجاء في الخبر الشريف عن اﻻ سبحانه وتعالى: "يتقرب إليّ عبدي المؤمن بالنوافل حتى أُحبّه فإذا أحببته أكون سَمْعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها". ويصل الإنسان إلى الكمال المطلق إلى قاب قوسين أو أدنى، فيكون في سلوكه وحركاته وسكناته مرآة ربه واجب الوجود لذاته المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجمالية.

المصدر: مجلة نور الإسلام/ العدد 11 و12 لسنة 1989م